المطلب السابع

طلب سقيا الماء والطعام

المطلب السابع

طلب سقيا الماء والطعام

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٥٠-٥١).

يخبر الله تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وأنهم لا يجابون إلى ذلك.

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾

قال السدي: يعني الطعام.

وقال زيد بن اسلم: يستطعمونهم ويستسقونهم.

وقال سعيد بن جبير: ينادي الرجل أباه وأخاه فيقول له: احترقت فأفض علي من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون: ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ يعني طعام الجنة وشرابها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سألت رسول الله ﷺ: اي الصدقة افضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة الماء، ألم تسمع أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا: افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله؟!»

ثم وصف الله تعالى الكفار بما كانوا يعتمدونه في الدنيا باتخاذهم الدين لهوًا ولعبًا واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للآخرة.

﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ أي: يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه كما قال تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ (سورة طه: ٥٢)، وإنما قال هذا من باب المقابلة كقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (سورة التوبة: ٦٧).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر»، أي: نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا.

وقال مجاهد: نتركهم في النار.

وفي الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: «ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، فيقول: أظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتني»[1].

ها نحن أولاء نسمع صوتًا آتيًا من قبل النار ملؤه الرجاء والاستجداء: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ وها نحن أولاء نلتفت إلى الجانب الآخر نسمع الجواب ملؤه التذكير الأليم المرير: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٠ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ثم إذا صوت البشر يتوارى لينطق رب العزة والجلالة وصاحب الملك والحكم: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[2].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ٢، ص: ٢٢٤-٢٢٥).

(٢) «في ظلال القرآن» (جـ٣، ص: ١٢٩٤).

قلت: يا له من موقف ذلة واستخزاء لكل ظالم وطاغية، فبعد أن كانت الأموال المديدة والجنان الوارفة في الدنيا والأنهار الجارية ها هم في الآخرة يعذبون، وبعد هذه النعم يطلبون أقل الأشياء الماء الذي كانوا يعذبون به عباد الله الصالحين وكأني الآن أرى فرعون الذي كان يقول لأتباعه وزبانيته: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ (سورة الزخرف: ٥١).

وكأني أنظر إليه وهو يطلب جرعة ماء فبعد الأنهار والملك العريض يستجدي جرعة ماء ويا ليته ينالها، ولكنها محرمة عليه، فهل نفعته أنهار الدنيا وهل أغنى عنه ملك مصر؟ كلا!.

وكأني انظر إلى كفار قريش الذين كتبوا الصحيفة بمقاطعة بني هاشم وتجويعهم في شعب أبي طالب، وكأني انظر إليهم وهم رافعوا أيديهم لأصحاب الجنة ـ الذين كانوا يحرمون الطعام والماء ـ يطلبون منهم أن يفيضوا عليهم من بعض الماء أو الطعام وكأني بأصحاب الجنة يقولون لهم: أليس هذا ما كنتم تمنعونه منا في الدنيا وتحرمونه علينا؟ فاليوم نقول لكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

وكأني انظر إلى صناديد قريش الذين عذبوا أصحاب رسول الله ﷺ أشد العذاب وأخرجوهم إلى الرمضاء الشديدة الحر ومنعوهم الماء وإذا طلبوه منهم سكبوه على الأرض ليزداد عذابهم، فكأني انظر إليهم الآن وهم يطلبون في لهفة يعلوها الخزي والعار من المسلمين أصحاب الجنة أن يعطوهم جرعة من الماء فيردون عليهم: أليس هذا ما كنتم تمنعونه منا وتعذبونا به؟! فالآن أنتم محرومون منه ليزداد عذابكم وتنفطر أكبادكم عطشًا لأن الله ﴿حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾